بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم أعنى ويسر أمرى

واهدنى إلى الطريق المستقيم

المعرفة الفلسفية بين المثالية والواقعية

دكتورة / لوتس على محمد على

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

مقدمة

أن المذهب المثالى وعلى الأخص الذاتى منه يبنى نظرته إلى العالم على حقيقة تتمركز حول الذات الانسانية التى هى المنطلق للمثالية.

يقوم هذا المذهب على انكار كون المعرفة إدراكا مطابقا للموجودات المدركة وكون هذه المدركات لها وجود عينى مستقل عن العقل الذى يدركها، لهذا فهم يرون أن وجود الأشياء يتوقف على القوى التى تدركها، إذ لا تعدو أن تكون صورا عقلية.

وقد فسر ' جورج باركلى ' الوجود بأنه: الإدراك وقال: ' أن وجود الشئ هو: أدراكه، وليس لهذا الشئ وجود مستقل عن إدراكى ' (١)

وقال ' فيشته ' أن الطبيعة مكونة بقوانين فكرى وليست إلا علاقات بينى وبين نفسى، أما العالم الخارجى ليس بوسعنا أن نقيم على وجوده الموضوعى دليلا' (٢)

وقد غالى بعض أتباع هذا المذهب حيث أحالوا الوجود الموضوعى للأشياء إلى مجرد أفكار وخواطر، وابتعدوا عن دنيا الواقع واستخفوا بعالم الشهادة.

أما أصحاب المذهب الواقعى يرون أن معرفة العقل مطابقة للأشياء المدركة كما هى ، فليس العالم الخارجى كما هو مدرك فى عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود فى الواقع.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٦٢

(٢) المصدر السابق، ص١٦٩

أردت من هذا البحث أن أوضح على قدر الاستطاعة المذهب المثالى والواقعى فى الفلسفة وما هى أفكار الفلاسفة فيهما، وكانت خطة البحث تسير على النحو التالى:

المبحث الأول: الفلسفة المثالية

(١) المثالية الافلاطونية المفارقة القديمة

(٢) المثالية الحديثة

وتنقسم إلى:

أ- مثالية ذاتية ب- مثالية موضوعية نقدية

المبحث الثانى: الفلسفة الواقعية

(١) الواقعية الساذجة

(٢) الواقعية النقدية

خاتمة

وعلى الله القبول والتوفيق

دكتوره / لوتس على محمد

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

المبحث الأول

الفلسفة المثالية

ما هى المثالية:

تعريف المثالية لغة: المثل: الشبه ، وجمعه أمثال.

والمثال: المقدار والقصاص وصفة الشئ ، وجمعه أمثلة ومثل

والأمثل: الاعدل والاشبه(١)

ومثله به: شبهة ، وتمثل به: تشبه به ، ومُثِّلَ الشئ بالشئ: سُوِّىَ به وقُدر تقديره(٢)

وعلى ذلك فالمثالية هى اتخاذ السلوك الكامل الذى يسير عليه الناس فى حياتهم وفى أفكارهم ، فهى القدوة الصالحة والمثل الأعلى الذى لا يصدر عن نقيصة.

وفى المعجم الفلسفى: فالمثال: صورة الشئ والتى تمثل صفاته والقالب أو النموذج الذى يقرر على مثله. والمثالى هو المنسوب إلى المثال ويطلق على عدة معان ، فالاستعمال الشائع لكلمة مثالى بين الناس أنه يعنى وصفا لكل ما هو كامل من نوعه، ولكل ما يتصف بالسمو(٣)

---

(١) الفيووز أبادى، القاموس المحيط ص٤٨

(٢) الزمخشرى، أساس البلاغة ص٨٨٠

(٣) د. جميل صليب، المعجم الفلسفى جـ٢ ط١ ص٣٣٦

فالمثالية هى مذهب روحى يدعو للقيم ومكارم الأخلاق وفى بداية أمرها استعملت فى الفلسفة لتدل على المذهب الأفلاطونى الذى يرد المحسوسات إلى وجود أسمى وأبهى وأكمل من الوجود المحسوس الواقعى وهو عالم المثل أو عالم المعقولات وتسمى هذه الفلسفة المثالية المفارقة أو المثالية القديمة.

والمثالية المتيافيزيقة لأفلاطون تعتبر الحقيقة الأساسية متمثلة فى مجموع الأفكار أو المثل التى ترتبط ببعضها وتنتظم فى تدرج على شكل هرمى، وتعتبر مستقلة عن العقل الذى يتصورها وعن الأشياء التى تتحقق فيها، وبجانب عالم الأفكار أو عالم المثل هذا يوجد العالم المحسوس، وهنا تتمثل ثنائية أفلاطون(١)

المثالية هى المذهب الذى يرد وجود الموضوع إلى الذات ولا يعترف للمادة ولا للعالم الخارجى بكيان يتعدى نطاق الذات.

ويطلق لفظ' المثالية' اطلاقات خاصة فى الأخلاق والفن والاجتماع، ولكن الذى يهمنا فى بحثنا هو ذلك المصطلح الذى ينظر إلى العالم نظرة يرده فيها إلى الذهن أو الفكر أو الروح أو العقل أو المثل العقلية أى المذهب الذى يتخذ من الذات العارفة أو الذهن البشرى الفردى المتناهى، أو العقل المطلق أيا كان نوعه مركزاً للأشياء، ثم ينظم فيه الكون حول هذا

---

(١) د. محمود حمدى زقزوق، تمهيد للفلسفة ص٢٤٣

الوجود المركزى، وفضلا عن ذلك فإن الكون مرتبط ارتباطا منظما بهذه الذات المركزية على أنحاء شديدة الوثوق بوجه خاص(١)

وللتميز ين الصادق والكذاب من الأفكار، تمهيدا للخروج من التصور – المثل – إلى الوجود، يرتب ديكارت الأفكار فى طوائف ثلاث:

الأولى: أفكار حادثة أو اتفاقية، وهى التى يلوح لنا أنها آتية من خارج، أى التى تقوم فى الفكر بمناسبة حركات واردة على الحواس من الخارج، كاللون والصوت والطعم والرائحة والحرارة، وهى غامضة مختلطة.

الطائفة الثانية: أفكار مصطنعة، وهى التى نركبها من أفكار الطائفة الأولى، كصورة فرس ذى جناحين، أو صورة حيوان نصفه إنسان ونصف فرس، وما شاكل ذلك.

والطائفة الثالثة: أفكار غريزية أو فطرية، ليست مستفادة من الأشياء ولا مركبة بالإرادة، ولكن النفس تستنبطها من ذاتها وتمتاز هذه الأفكار بأنها واضحة جلية بسيطة أولية، وهى التى تؤلف الحياة العقلية بمعناها الصحيح، كفكرة الله والنفس والامتداد وأشكاله والحركة وأنواعها والعدد والزمان وغيرها(٢)

وعلى ذلك فالمعرفة ليست إدراكا للأشياء كما هى فى الواقع بل حسب ما يظهر لنا إذ لا يمكن أن يكون بين المعرفة التى هى عملية نفسية والأشياء الخارجية تشابه، وكل ما نعرفه من العالم والأشياء الخارجية

---

(١) هنتربيد، الفلسفة – أنواعها ومشكلاتها، ص٨٠، ترجمة د. فؤاد زكريا
(٢)يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٧٢

سواء كان طريق المعرفة حواسنا أو تأملنا الفكرى ليس إلا خيالا يولده العقل([1])

وعلى هذا الأساس تكون معرفة الشئ، ووجوده طريقتين لحقيقة واحدة لأن لا فرق بين المعرفة الآتية عن طريق المحسوسات أو عن طريق الادراكات العقلية.

وكلتاهما ترد كل ما هو فى الواقع إلى الفكر أو ترد ما فى الأعيان إلى الأذهان، ومن ثم لا تعترف المثالية بمذهبيها القديم والحديث بوجود مستقل للأشياء عن الفكر، لأن ما هو خارج الفكر لا يمكن أن يكون متعقلا ومن ثم لا يكون موجوداً، فالموجود هو المدرك ومالا يدرك فلا وجود له([2])

أما' برنشفيك' مثاليته اتسمت بالطابع الواحدى الذى يرجع كل موجود إلى الحقيقة الإلهية فقال:

أن العالم المحسوس هو عالم الوهم والعذاب، هذا هو السبب فى أنه لا يقبل أى تفسير متيافيزيقى، ولا يحتمل القول بأية علية متعالية وفى مقابل هذا العالم، تجئ الفلسفة فتصدر حكمها على ما ينبغى أن يكون، وتضع معيار التطبيق العملى لكل من الحياة العقلية والحياة الأخلاقية، وتؤكد الحقيقة الإلهية للمثل الأعلى([3])

ويقول د. عثمان أمين:

([1]) د. عدنان زرزور، مقاله فى المعرفة، ص٦١
([2]) د. راجح عبد الحميد الكردى، نظرية المعرفة بين القرآن والسنة ص٢٤٣
([3]) د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة جـ١ ص١٠١

والذات العارفة إنما تفكر أى تعقل الأشياء بالفكر وأداة الفكر فى التعقل هى الأفكار، وإذن فلا شئ، هناك سوى الأفكار، والأمر كما رآه ديكارت و'كانط' حين أكدا أن الفكر هو الواقعة الأولى، وهو أولى المعطيات. فإن كل تفسير وكل قضية إنما تفترض وجود الفكر والفيلسوف المثالى، إنما يعقد النية على أن يفسر كل شئ بالفكر، ويفسر الواقع وينظر إليه على أنه ذو معنى وعلى أنه فكر بغض النظر عن مظهره الخارجى المحسوس ويرد الظواهر الخارجية إلى مبادئ ثابتة أساسية من أجل معرفتها أيا ما كانت هذه المبادئ سواء أكانت مادية أم روحية أم وجوداً أم جوهرا أم علة أم حيزا مطلقا، فهذه المبادئ لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الفكرة، فإذا أبطلنا الفكرة خرجت التجربة نفسها عن ضوابط الفكر ولم تستطع أن تقدم لنا إلا تمثلات غامضة لا صلة بينها ولا قيمة لها(١)

يقصد بذلك أن المثالية فى الحقيقة ما هى إلا مجموعة من الأفكار سواء أكانت تلك الأفكار روحية أو داخلية أو خارجية، أى داخل النفس أو خارجها، وكلها تخضع للتفكير الذهنى مستبعد بذلك التجربة الحسية ومدى تأثرها بالمثالية وتأثير الأفكار المثالية على الواقع العملى، فهى مبادئ نظرية فى الذهن.

*** أنواع الفلسفة المثالية:**

هناك نوعان من المثالية، أحدهما: المثالية الافلاطونية وتسمى المثالية المفارقة أو المثالية القديمة.

---

(١) د. عثمان أمين، رواد المثالية فى الفلسفة الغربية، ص١٢

والثانية: المثالية الحديثة بما فيها من مذاهب، مثالية ذاتية عند 'باركلى' ، ومثالية موضوعية نقدية عند ' كانت'

(١) المثالية الافلاطونية(المفارقة – القديمة):

سقراط سبق أفلاطون فى الاهتمام بالنفس الإنسانية حيث جعلها صورة من العقل الإلهي وهبت لهذا المخلوق البشرى دون غيره من المخلوقات الموجودة فى الكون، فقال ' سقراط' :

' الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل، ومطابقة للطبيعة الحقة، وهى صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة فى قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي، وقد يحتال البعض فى مخالفتها بحيث لا يناله أذى فى هذه الدنيا، ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة فى الحياة المقبلة([1])

بنى ' سقراط' نظريته فى المعرفة على أن النفس الإنسانية أن هى إلا صورة من العقل الإلهي، وهبت لهذا الإنسان فالمعرفة قائمة فى النفس وتتصف هذه النفس بما يتصف به العلم الإلهي من خلود وسيطرة وكلية، وهذه النفس إنما هى عقل خالص شبيه بالعقل الإلهي([2])

فموضوع المعرفة عند ' سقراط ' هى داخلية فى النفس الإنسانية وهى وحى إلهي علمها كيف تدرك الأشياء بسهولة ويسر.

([1]) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٥٣

([2]) شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، ص٦٨، ترجمة تيسير شيخ الأرض

وجاء ' أفلاطون' وكان تلميذ' سقراط' فسار على نهج أستاذه فى الاهتمام بالنفس الإنسانية، واشتهر بمثاليته المفارقة.

بحث عن ضمان أعلى من الحس وأعلى من الفكر، يضمن هذه المطابقة التى هى يقين والتمسها فى نظرية المثل، من أجل إمكان الحكم أو إمكان القول بمعقول كلى سابق للواقع وعام وغير متغير(١)

الكليات على ما يذهب' أفلاطون' حقيقة موضوعية، فلست أنا الذى أصنف الأشياء، لأن الفئات نفسها لها وجود مستقل عن ذهنى، فالجانب الحقيقى فى موضوعات الحس هو الكليات، ولكن المصدر الذى نعرف عن طريقه هذه الكليات ليس هو الإحساس وإنما هو العقل، لأن الإحساس لا يستطيع أن يزودنا بالتصورات، بما أن التصورات تتكون عن طريق التجريد أو الاستدلال، ومن ثم فالعقل وحده هو مصدر الحقيقة، والإحساس هو مصدر الخطأ لأن الإحساس يعرفنا بعالم الحواس الذى هو عالم الأشياء الجزئية وهو العالم الزائف، مع أن الحقيقى الأصيل هو الكليات وحدها، ونحن نعرف هذه الكليات عن طريق العقل فالإحساس يعطينا الظاهر والعقل يعطينا الحقيقة(٢)

وعلى ذلك فإن المثالية الافلاطونية تظهر أن لكل محسوس حقيقة معقولة وأن المعقولات هى الأصل فى المحسوسات والمحسوسات هى أشباح أو خيال لما هو موجود فى عالم المثل عالم الخير والحب والجمال والحق الأزلي، ويعتقد' أفلاطون' بموضوعية الادراكات العقلية التى هى أعلى

---

(١) د. نظمى لوقا، الحقيقة، ص٢٧
(٢) د. إمام عبد الفتاح أمام، فلسفة هيجل ص٣٠

درجة من الادراكات الحسية، مقررة أن الإدراك العقلى هو إدراك كلى وليس جزئى كإدراك المحسوسات.

يقول' أفلاطون' شارحا نظريته فى المثل' أن الكامل الثابت أول، وأن الناقص محاكاته وتضاؤله، وأنه لا يمكن أن يكون الكامل الثابت قد حصل فى العقل بالحواس عن الأجسام الجزئية المتحركة.

ويقال مثل ذلك من باب أولى عن المجردات التى لا تتعلق بالمادة فلا يبقى إلا أن الماهيات جميعاً حاصلة فى العقل عن موجودات مجردة ضرورية مثلها، لما هو واضح من أن المعرفة شبه المعروف حتما.

فتؤمن النفس بعالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله، يدرك بالعقل الصرف والماهيات متحققة فيه بالذات على نحو تحققها فى العقل، مفارقة للمادة، بريئة عن الكون والفساد، الإنسان بالذات والعدالة بالذات والكبر والصغر والجمال والخير والشجر والفرس بالذات، وهلم جراء فهى مبادئ ومُثل الوجود المحسوس والمعرفة جميعا، ذلك بأن الأجسام إنما يتعين كل منها فى نوعه بمشاركة جزء من المادة فى مثال من هذه المُثل، فيتشبه به ويحصل على شئ من كماله، ويسمى باسمه، فالمثال هو الشئ بالذات والجسم شبح للمثال والمثال نموذج الجسم أو مثله الأعلى، متحققة فيه كمالات النوع إلى أقصى حد(١)

يبدأ طريق التفلسف بعمل من أعمال الفهم والتمييز، أو بعبارة أخرى يبدأ بالتحليل، ولكنه لا ينتهى بذلك والمعرفة الحقيقية لدى' أفلاطون' هى

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية ص٧٣

عمل من أعمال الشخصية المتناسقة المتحدة ككل، ويستخدم' أفلاطون' فى أغلب الأحيان - عندما يعرض آراءه - صورا أو أساطير كوسائل مساعدة، فهو يشبه النفس بعربة يقودها سائق ويجرها جوادان أحدهما من عنصر طيب والآخر من عنصر خبيث، فالسائق هو العقل والحصان الطيب هو الإرادة والحصان الخبيث هو الشهوة، والنفس المجنحة تستطيع أن تصعد إلى أقصى علو فى السماء، بل إلى ما فوق السماء، فترتفع إلى عالم الجمال والخير والحق(١)

لا تقتصر المشاركة فى المثل على الأشياء المحسوسة فحسب، وإنما هناك أيضا مشاركة المثل بعضها مع بعض، وهى تشكل فى مجموعها عالم المثل، ويقوم بين المثل تدرج فى المراتب، حيث يتضمن مثال فى مثال آخر، فمثلا مفهوم الشكل الهندسى يتضمن المثلث والشكل الكروى... الخ، ومفهوم الحيوان يتضمن مثلا مفهوم البلبل ومفهوم الكلب وهذا التدرج فى المراتب يتوج بالمثال الأعظم وهو مثال الخير، وفيه تشارك كل المثل الأخرى، وهو الذى يوحد ما بينها، مثلما توحد تلك المثل الأخرى بين الأشياء المحسوسة، فمثال الخير هو أذن السبب الأصلي لكل الحقيقة الواقعة، وقد وصف بأنه يمثل الألوهية لدى' أفلاطون' (٢)

فكل الأشياء عند' أفلاطون' تسعى إلى أن تكون شبيهة بالمثال، وكل موجود فهو موجود من أجل ما هو أسمى وأرفع ويكون ذلك عن طريق

---

(١) أحمد فؤاد الأهوانى، افلاطون، ص٢٤٥ دار المعارف ١٩٦٥م.

(٢) د. محمود حمدى زقزوق، تمهيد الفلسفة، ص٢٤٧

العقل لأن معطيات الحس غير يقينية ومتأرجحة فى حين أن معطيات العقل يقينية وفوق الزمان.

ولكن كيف عرفنا هذه المثل وليس بيننا وبين العالم المعقول اتصال مباشر فيما نعلم ؟

يقول أفلاطون: أن شيئا من التأمل يدلنا على أننا نستكشفها فى النفس بالتفكير، فحينما تعرض لنا مسألة نقع فى حيرة ونشعر بالجهل

ثم يتبين لنا ظن صادق، يتحول إلى علم بتفكيرنا الخاص أى بجدل باطن، أو بالأسئلة المرتبة يلقيها علينا ذو ذو علم وما علينا إلا أن نجرب الأمر فى فتى لم يتلق الهندسة، تجده يجيب عن الأسئلة إجابة محكمة ويستخرج من نفسه مبادئ هذا العلم فإذا كنا نستطيع أن نستخرج من أنفسنا معارف لم يلقنها لنا أحد، فلابد أن تكون النفس اكتسبتها فى حياة سابقة على الحياة الراهنة كانت النفس قبل اتصالها بالبدن فى صحبة الآلهة تشاهد فيما وراء السماء موجودات ليست بذات لون ولا شكل ثم ارتكبت إثماً، فهبطت إلى البدن، فهى إذا أدركت أشباح المثل بالحواس تذكرت المثل(١)

وعلى ذلك يكون موضوع العلم عند' افلاطون' هى المثل الذى أعلاها هو مثال الخير، وهدف العلم هو التثبت من هذه المثل عن طريق التأمل والتذكر وذلك لا يحدث إلا إذا جردنا النفس الإنسانية عن شواغلها الدنيوية، وما يثقل كاهلها حتى تستطيع أن تستشف ما كان عندها فى عالم المثل.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧٤

ولكن مثالية' أفلاطون' واجهت اعتراضات كثيرة منها:

تلميذ' أفلاطون' أرسطو ينقده فى مفارقة المثل عن الأشياء المحسوسة فيقول:

' إذا كانت المثل تمثل ماهيات الأشياء ولكن هذه الماهية لا يمكن فصلها عن الشئ الذى هى ماهيته' إن وضع الأشياء فى العالم المحسوس والماهيات فى العالم المعقول - كما عند أفلاطون- إنما هو رفض لفهم الكيفية التى تكون بها الماهية قوام واقع الأشياء صحيح أن' أفلاطون' يتقبل نوعا من المشاركة بين الأشياء والمثل بيد أن هذه الفكرة ليست شيئا أكثر من استعارة شعرية(١)

فعلى ذلك فإن أفلاطون لا يبحث فى ماهية الأشياء إلا من خلال المثل والمثل تصور غير واقعى فكيف يتسنى للإنسان البحث فى التصورات دون البحث فى حقيقة الأشياء المحسوسة الملموسة.

كما أن' أفلاطون' يستخدم الحدس فى الانتقال من الكلى إلى الجزئى، ومن المجرد إلى المحسوس وهذه الطريقة لا تجدى بفائدة فى واقع أمرها.

يقول جورج سارتون:' أنها لا تفيد فى حياتنا العملية إذ أن الخير المجرد ليس خيراً وليس فى وسع الإنسان أن يمتطى صهوة مثال للفرس، أما الطريقة المضادة وهى التى تسير من الجزئيات المعروفة إلى الأفكار

---

(١) أحمد أمين، زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية ص١٥٨ الطبعة السابعة ١٩٧٠ م لجنة التأليف بالقاهرة.

المبحث الثانى

الفلسفة الواقعية

ما هى الواقعية ؟

اشتقت كلمة الواقعية فى اللغة من' وقع' وهى تدل على وقوع حصول الشئ ووجوده ووجوبه وأحقيته وثباته(١) وفى المعجم الفلسفى، الواقعى: هو المنسوب إلى الواقع، ويرادفه الوجود الفعلى، ويقابله الخيالى والوهمى والفكرى أو العقلى... والواقعية تطلق على المذهب الفلسفى الذى يقوم على نظرية تحقق المثال أى تعده شيئا واقعياً أو تقدم الواقع على المثال(٢)

المذهب الواقعى:

هو ذلك المذهب الذى يقول:بوجود عالم خارجى مستقل عن أى عقل يدركه، وعن جميع أفكار أو أحوال ذلك العقل، وليست الأمور المدركة فى التجربة سوى رموز فى العقل ولكنها رموز تدل على حقائق خارجية واقعية(٣)

وعلى هذا فالواقعية مذهب مقابل للمثالية حيث أنهما تفسيران للوجود والمعرفة، يرى المذهب الواقعى أن ماهية المعرفة، ليست من جنس الفكر أو الذات العارفة، بل هى من جنس الوجود الخارجى.

---

(١) الفيروزى ابادى، القاموس المحيط، جـ٣ ص٩٦

(٢) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، جـ٢ ص٥٥٢

(٣) كولبة، المدخل إلى الفلسفة ص٢١١

وقد اتخذت الواقعية بمعناها الفلسفى بوجه خاص عدة صور وهى الواقعية الدارجة(الساذجة) والواقعية النقدية وتشمل الواقعية القديمة والواقعية الحديثة.

(أ) الواقعية الساذجة(الدارجة)

هى الصورة الساذجة التى تثق فى المدركات الحسية ثقة كاملة وتحكم بصحة كل ما جاء عن طريقها، مما أثبتت التجارب خطأه، فالعصا المغروزة فى الماء تبدو منحرفة أمام العين، مع أنها مستقيمة فى واقع الأمر، والبرج الذى يبدو مستديراً من بعيد يتبين أنه فى واقعه سداسى الشكل بعد الوصول إليه.

فالمعرفة عند الواقعيين: إدراك عقلى أو حسى مطابق للأعيان فى الخارج، أو هى: إنعكاس العالم الخارجى على العقل(١)

الواقعية الدارجة بمعنى الشائعة وكونها دارجة لا يمنع من أن تتحول بتأثير العلم والاكتشافات العلمية وتقدم أدوات الفحص والتجربة الحسية حتى تصبح واقعية بالمفهوم الآخر وهى الواقعية العلمية أو الفلسفية أو النقدية وسبب تسميتنا لها بالدارجة لأن التعبير عنها بالساذجة يشعر بالغفلة والجهل برغم من أنهما لا يلزمان من مفهوم هذه الواقعية، إذ يستعملها عامة الناس ويتعامل معها خاصتهم بحيث لا يستطيع حتى العالم فى حياته اليومية إلا أن يتعامل بهذا النمط من الواقعية ومن ثم فالأولى ألا يكون اسمها ساذجة وتسميتها بالدارجة أولى إذ قد يستعملها الساذج كما لا

---

(١) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ص٣٢٥

يستطيع أن يستغنى عنها العالم أو الفيلسوف قبل أن يصل إلى واقعيته الفلسفية([1])

تذهب الواقعية الساذجة إلى اعتبار الحقائق الخارجية أصلاً واعتبار أفكارنا عن هذه الحقائق صورة مطابقة لها، وبهذا تتحدد العلاقة بين الحقائق الخارجية وبين أفكارنا عنها على أنها علاقة مشابهة أو مماثلة([2])

تعتقد الواقعية الساذجة اعتقاد يقينى فى مدركات الحس دون أى نقد أو تجربة، وعلى أساس ذلك يتم التفاهم بين الناس فى حياتهم العملية البسيطة ولكن هذه النظرية لا تصلح إذا أتجهنا إلى العلوم العلمية، فالعلم يبين لنا ما لدى الفكر العادى من أفكار عن الأشياء الخارجية لا يمثل فى واقع الأمر الفكرة الصحيحة عن هذه الأشياء.

ذكر' د. يعقوب فام' بعض الأمثلة على تصحيح العلم لبعض الأخطاء الشائعة فقال:

١- نرى بالعين المجردة كلا من الشمس والقمر قرصين صغيرين ولكن العلم يثبت لنا خطأ هذا التصور الذى لا يتطابق على الإطلاق مع حقيقة كل من الشمس والقمر.

٢- نرى أمامنا منضدة ونقول إنها مصنوعة من مادة صلبة، ونبنى هذا الحكم على ما فى ذهننا من صورة عن هذه المنضدة ولكن الواقع هو

([1]) د. راجح عبد الحميد الكردى، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة هامش ص ٢٩٠

([2]) كولبة، المدخل إلى الفلسفة. ص٢٩٨

أن الصورة الذهنية التى لدينا عن هذه المنضدة تختلف اختلافاً تاماً عن حقيقتها، فالحواس التى نقلت إلينا هذه الصورة أخطأت تماما فيما نقلته

فالمنضدة ليست مادة صلبة كما تبدو، وإنما هى مكونة من طاقات كهربية – من إلكترونيات وبروتونات – أى من شحنات كهربية موجبة وسالبة، وتجمع هذه الشحنات بعضها إلى بعض على هذا النحو وبهذا الوضع هو الذى خدع الحواس وجعلها تنقل إلينا صورة معينة للمنضدة لا تنطبق على حقيقة المنضدة فى ذاتها([1])

نرى من ذلك: خطأ اعتقاد أصحاب المذهب الواقعى فى إعطاء تفسير صحيح للمعرفة لأن كثيراً ما تكون الفكرة الذهنية غير مطابقة للواقع.

(ب) الواقعية النقدية

الواقعية النقدية التى ترى أن الحس يدرك حقائق الأشياء وهذه الحقائق تمحص فى ضوء قوانين العلوم الطبيعية فليست المعرفة تصوراً مطابقاً تماماً لتلك الأشياء التى أدركها الإنسان فى الخارج.

كانت الواقعية الساذجة – كما رأينا – قد سلبت من العقل كل ألوان الفاعلية، وجعلته مجرد متقبل تنطبع فيه صور الأشياء دون أن يكون له أدنى تأثير فى تكوين المعرفة.

ولكن تحليل معارفنا يثبت بطلان ذلك، فنحن وأن كنا نتلقى من الخارج المادة الأولية للمعرفة فإن هذه المادة تخضع فى داخلنا للتأليف والتركيب،

([1]) د. يعقوب فام، البراجماتزم، ص٢٩، ٧٧

وتكون نتيجة ذلك تكوينات عقلية هى أساسية فى معارفنا رغم أنه لا تطابق بينها وبين عالم الأشياء([1])

وجاء' جوزيف بوخينسكى' على ذلك بمثال قائلاً:

ولنأخذ مثلا القضية التالية: هذه الوردة الحمراء' فإذا أردنا أن ندعى أن تلك القضية تكون على وجه الدقة صادقة إذا كانت الوردة حمراء فى الحقيقة، فإننا نسمع حينئذ اعتراض على ذلك، أنه ليست هناك حمرة فى العالم الخارجى على وجه الإطلاق، فكل الألوان تنشأ ابتدأ فى أعيننا نتيجة تأثيرات موجات ضوئية معينة تسقط على أعيننا، فليس هناك لون خارجى على وجه الإطلاق هكذا يقول علماؤنا فى الفسيولوجيا([2])

وهذا يعنى أن اللون الأحمر قد تكون فى العين عن طريق موجات الضوء التى جاءت من الخارج ولم يكن اللون الأحمر مطابق تماماً لما هو فى الواقع فالعلاقة بين الشئ موضوع الإدراك والصورة التى أحصل عليها عن طريق إدراكى لهذا الشئ ليست علاقة التطابق التام كما تظن الواقعية الساذجة.

فهناك أمور تعد من لوازم الأشياء بصفة دائمة تتمثل فى الامتداد والشكل والصلابة والعدد والحركة أو السكون، ويسميها' جون لوك' بالصفات أو الكيفيات الأولية، وهناك صفات أو كيفيات ثانوية مثل اللون والطعم والرائحة والحرارة والصوت لا يكون وجودها فى الأجسام على

([1]) د. زكى نجيب محمود، نظرية المعرفة ص٢٠

([2]) جوزيف بوخينسكى: مدخل إلى الفكر الفلسفى ص٧٣

سبيل الدوام، وليس فى الأجسام شئ يتطابق مع هذه الصفات فى ارتباط بسيط وطبيعى مثلما هو الحال فى الصفات الأولية، ولكن يجب أن تشتمل الأجسام على قوى تبعث فى نفوسنا الانطباع بهذه الصفات الثانوية(١)

فمن مجموع الصفات الأولية المطابقة للواقع والصفات الثانوية التى يتم تكوينها داخل نفوسنا يستطيع العقل أن يكون أفكاره عن هذه الموضوعات.

وعلى ذلك فإن الواقعية الفلسفية أو النقدية وإن كانت ترى' أن الحس يدرك حقائق الأشياء الخارجية ـ ولكن هذه الحقائق تخضع للفحص على ضوء قوانين العلوم الطبيعية، فمع أن للمادة وجوداً حقيقياً فى الخارج، إلا أن الكيفيات التى تدركها الحواس إنما تكون من عمل الذهن، فالمعرفة عند الواقعية النقدية ليست إدراك صورة مطابقة للأشياء الخارجية بل هى صورة معدلة بفعل العقل(٢)

فالواقعية الساذجة أو الطبيعية لها مجالها والواقعية النقدية القائمة على الفحص فى ضوء قوانين العلوم الطبيعية لها مجالها أيضا فلا تضارب أو تعارض بينهما، ولا يصح أن تلغى إحداهما الأخرى بل من الضرورى أن تخدم إحداهما الأخرى.

يقول د. فؤاد زكريا' عن ذلك: صورة العالم صحيحة حسب كل مجال من المجالات التى تستخدم فيها هذه الصورة. وبالنسبة إلى أغراض مجال

---

(١) د. محمود حمدى زقزوق، دراسات فى الفلسفة الحديثة، ص٢٠٦
(٢) د. أبو ريان، الفلسفة ص٢٠٣

الإنسان العملى الحيوى تكون صورة العالم فى الموقف الطبيعى صحيحة تماماً. لأنها هى الوحيدة المتسقة مع غايات الإنسان فى هذا العالم، إنه من العبث أن ننقد الصورة التى نكونها للعالم فى موقفنا الطبيعى لاختلافها عن الصورة العلمية للعالم - الصورة بواسطة المجهر بأنواعه - إذ أن كلا من الصورتين تؤدى وظيفة مختلفة تماماً عن وظيفة الأخرى وتسرى على مجال مختلف تماما لمجالها.(١)

والمعرفة الواقعية كانت موجودة فى الفلسفة اليونانية القديمة وكذلك وجدت فى الفلسفة الحديثة ولكن بصورة أخرى فلنأخذ نماذج من تلك الواقعية القديمة وكذلك الحديثة حتى تتم الفائدة من البحث.

أولا: الواقعية القديمة

*** أرسطو:**

الواقعية عند أرسطو، تعتمد على المعرفة العقلية ولكنها ليست معرفة ذاتية مفارقة وإنما لها ارتباط بالمعطيات الحسية الموجودة فى الكون لأنها جوهر المعرفة الحقيقية.

يقول، أرسطو، أن الإنسان مفطور بطبعه على طلب المعرفة وحب الاستطلاع والإدراك الحسى هو أول خطوة يخطوها فى هذا الاتجاه إذ تتعلق حواسه بالاشياء الجزئية الخارجية التى لا ينقطع سيلها فإذا ما تجمعت فى الذهن أكداس تلك الادراكات الحسية واستعان بذاكرته على الاحتفاظ بها،

---

(١) د. فؤاد زكريا، نظرية المعرفة، ص١٤

وثب إلى المرحلة الفكرية الثانية وهى التجربة التى تقوم على مقارنة الأشياء بعضها ببعض وتعليلها.. أما المرتبة الاخيرة العليا فهى التأمل النظرى فى هذه العلل التى حصلها الذهن لكى يكشف الإنسان عن منبتها وأصلها وتلك هى المعرفة الكاملة الفلسفية(١)

نرى من ذلك أن' أرسطو' كان قد سبق الواقعية الحديثة بواقعية متكاملة متطورة سبقت عصره حيث أنه جعل المعرفة تمر بمراحل ثلاث لكى يتم نضجها وتكاملها وهى: مرحلة الإدراك الحسى للجزئيات الخارجية أو المعطيات الخارجية، والمرحلة الثانية مرحلة تجربة مصداقية تلك المعطيات الخارجية عن طريق المقارنة والبحث وراء العلات - ثم تكتمل المعرفة بالمرحلة الاخيرة بالتأمل العقلى النظرى فى بنتائج البحث وراء تلك العلل لكى يصل إلى الحقيقة الكلية اليقينية التى لا مجال للشك فيها.

يقول' أرسطو' والعقل يدرك الماهيات مباشرة ويدرك الجزيئات المتحققة فيها الماهيات بإنعكاسه على الحس الذى هو مدرك الجزيئات بأعراضها، فالعقل يدرك الكليات والجزيئات جميً، ولكن بإختلاف: فهو يدرك ماهية الماء ويدرك أن هذا المعلوم بالحس ماء فباعتباره مدركا للماهيات فى أنفسها يسمى عقلاً نظرياً، فإذا ما حكم على الجزيئات بأنها خير أو شر فحرك النزع إليها أو النفور منها، سمى عقلاً عملياً والفرق بين الحس والعقل من هذه الجهة أن الحس يدرك اللاذ أو المؤلم فى حقيقته المتشخصة،

---

(١) أحمد أمين، وزكى نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية ص١٥٥

والعقل العملى يدرك الخير والشر من حيث هما كذلك وهما معقولان كالحق والباطل، والمعقولات موجودة بالقوة فى الصور المحسوسة(١)

فبذلك استطاع، أرسطو، أن يتخلص من مثالية استاذه، افلاطون، ويرجع إلى واقعية الكون والموجودات المحسوسة فيه لأن الإنسان لا يستطيع أن يفهم أو يتعلم من غير الإحساس لأن المحروم من حاسة ما محروم من المعارف المتعلقة بها فالمعقول والمحسوس عند، أرسطو، يكمل أحدهما الآخر وليس هناك ما يميز به أحدهما عن الآخر ولا تكتمل المعرفة بواحد دون الآخر فكلاهما محتاج للآخر.

ثانيا: الواقعية الحديثة

ننتقل بعد ذلك إلى الواقعية الحديثة ونختار الواقعية التجريبية التى ظهرت على يد، جون لوك، والواقعية التحليلية التى ظهرت على يد(براترند رسل) ليكونا نموذجان على الواقعية الحديثة.

*الواقعية التجريبية:-(جون لوك)

يتجه المذهب التجريبى اتجاهاً مختلفاً عن المذهب العقلى ويرفض الأفكار الطبيعية الفطرية ويرى أن المعارف لا تتأتى إلا عن طريق الخبرة الشخصية والتجربة.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية ص١٦٤

ويقول' جون لوك' لو كان المذهب الغريزى صحيحاً لما كان هناك حاجة للبحث عن الحقيقة بالملاحظة والاختيار(١)

والحق عند' لوك' أن النفس فى الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شئ، وأن التجربة هى التى تنقش فيها المعانى والمبادئ جميعاً والتجربة نوعان: تجربة ظاهرة واقعة على الأشياء الخارجية، أى إحساس، وتجربة باطنة واقعة على أحوالنا النفسية أى تفكير - شعور(٢)

فالأفكار الفطرية إذن لا وجود لها عند الواقعية التجريبية والنفس كالصفحة البيضاء والمعارف تصل إليها عن طريق التجربة التى تكون عن طريق الإدراك الحسى.

ويصنف' لوك' الافكار فى قسمين رئيسيين:-

(أ) الأفكار البسيطة:

وتتكون فى العقل بواسطة الإحساس أو التفكير، وتنقسم إلى أربعة أنواع:-

١- أفكار تصل إلى العقل بواسطة حاسة واحدة مثل أفكارنا عن الضوء والألوان.

٢- أفكار تصل إلى العقل بواسطة أكثر من حاسة مثل أفكارنا عن المكان والامتداد والشكل والحركة والسكون فهى تصل عن طريق حاستى السمع واللمس.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٤٤

(٢) المصدر السابق، ص١٤٥

٣- أفكار تتكون فى العقل بواسطة التأمل الذاتى مثل أفكارنا عن الإرادة والإدراك.

٤- أفكار تتكون فى العقل بواسطة الإحساس مضافاً إليه التأمل الذاتى، مثل أفكارنا عن القوة والوجود واللذه والألم.

(ب) الأفكار المركبة:

وتتكون فى العقل بواسطة التفكير فقط وهى أنواع:

النوع الأول: أفكار مركبة من الأعراض وقد تكون مركبة عن:

١- أعراض بسيطة:

مثل فكرتنا عن' الدستة' أو العشرين فإنها كبت نتيجة تكرار أو إضافة فكرة الوحدة العددية أثنتى عشر مرات أو عشرين مرة.

٢- أو اعراض مركبة:

بتركب الأفكار عن تجميع أو ربط بعض الأفكار البسيطة مختلفة الأنواع بعضها ببعض مثل فكرتنا عن الجمال الناتجة عن إضافة الشكل واللون والتجسم والصلابة... الخ إلى بعضها.

النوع الثانى: أفكار مركبة عن الجواهر: وقد تكون مركبة:

١- عن جواهر مفردة: مثل فكرتنا عن إنسان ما

٢- أو عن جواهر جسمية: مثل فكرتنا عن الجيش أو الإنسان بصفة عامة

النوع الثالث: أفكار مركبة عن العلاقات

مثل أفكارنا عن العلاقات الزمانية والمكانية(١).

هذه الأفكار ردها(جون لوك) إلى عالم الإحساس أو العالم الكونى وبذلك يكون(جون لوك) من رواد الواقعية النقدية الحديثة القائمة على التجربة الحسية مع اشغال الفكر والذهن بذلك حتى لا تكون كالواقعية الساذجة التى هى عبارة عن انطباع فى الذهن لما هو فى الواقع.

نجد' لوك' ينحو نحو النزعة الأسمية، وقد خصص' لوك' القسم الثالث من كتابه - الذى يتناول فيه اللغة - للتدليل بإسهاب على أن الكلمات التى ترمز باستمرار إلى مفاهيم عامة ليس لها ما يطابقها فى الحقيقة الواقعة' ويشير لوك' إلى أن إنكار هذه الحقيقة هو مصدر غالبية الأخطاء.

ولكن هناك استثناء، من القضية التى تقول بأن الأفكار المركبة لا وجود لها إلا فى الذهن فقط وليس لها ما يطابقها فى الحقيقة الواقعة فى الخارج. ويتمثل هذا الاستثناء فى مفهوم الجوهر فالضرورة الباطنية التى تدفعنا لأن ننسب الانطباعات التى تأتى لنا بها الكيفيات التى هى فى ذاتها مفردة أو جزئية إلى جوهر بوصفه حاملاً مشتركاً لها، تدفع' لوك' إلى التسليم بأنه يجب أن يكون هناك جوهر واقعى ولكننا لا نستطيع أن نقول شيئا عن ماهيته(٢)

---

(١) د. عزمى إسلام، جون لوك، ص٧١، دار الثقافة القاهرة سنة ١٩٧٦م
(٢) د. محمود حمدى زقزوق، دراسات فى الفلسفة الحديثة ص٢٠٨

وفى ذلك يقول: ' لوك ' فالفكرة التى نطلق عليها الاسم العام(الجوهر) لن تعبر عن شئ سوى تلك الدعامة المجهولة التى نفترض وجودها لترتكز عليها تلك الصفات التى ندرك أنها موجودة والتى لا يمكن أن نتخيل وجودها بدون شئ يدعمها، ونحن نسمى هذه الدعامة الركيزة باسم الجوهر.(١)

*** درجات المعرفة:-**

جعل ' لوك ' للمعرفة ثلاث درجات:

١- معرفة حدسية:

وهى إدراك العقل مباشرة لفكرة ما بدون واسطة فالإدراك الحدسى لا يحتاج إلى دليل أو برهان، ويعتبر ' لوك ' معرفة الذات حدسية فيقول: إن معرفتنا بوجودنا معرفة حدسية وفيما يتعلق بوجودنا فإننا ندركه بدرجة من الوضوح واليقين بحيث لا تحتاج أو تحتمل أى برهان لأنه لا يمكن أن يكون هناك ما هو أوضح لنا من وجودنا فأنا أفكر واعقل وأحس بالسرور والألم هل يمكن أن تكون أى من هذه العمليات أكثر وضوحاً بالنسبة لى من وجودى ؟(٢)

ويرى ' لوك ' أن المعرفة الحدسية للذات هى معرفة تبلغ أعلى درجات اليقين.

٢- معرفة برهانية:-

---

(١) د. عزمى إسلام، جون لوك، ص ٢٣٠
(٢) المصدر السابق، ص ٢٣١

وهى إدراك العقل للأفكار المتفقة والمختلفة عن طريق غير مباشر ويحتاج إلى دليل إثبات أو برهان فى حال الاختلاف والاتفاق.

ويرى' لوك' أن وجود الله عز وجل يحتاج إلى دليل وبرهان فقال' لوك'

' والله موجود' ولكن ماهيته مجهولة لا يستطيع عقلنا أن يعينها، ولسنا نؤمن بوجود الله بناء على معنى غريزى، بل بناء على برهان، أن المعنى الغريزى معدوم بالمرة عند الذين يقولون إنهم ملحدون، وعند بعض القبائل المتوحشة وهو إن وجد عند العامة فإنه مشبع بالتشبيه ولا يطابق حقيقة الله. فلو كان فى النفس معنى غريزى عن الله لآمن بالله جميع الناس وتعقلوه كما هو(١)

٣- معرفة حسية:-

وتعتمد هذه المعرفة على الموجودات الحسية الموجودة فى العالم الخارجى عن الذات الإنسانية، وهذا النوع من المعرفة لا يبلغ درجة الصدق إلا إذا خضع للتجربة.

ليس هناك شك فى أن افكار' لوك' فى المعرفة الواقعية وجدت صدى كبير فى الفلسفة الغربية وكان لها مؤيديها ومعارضيها أيضاً.

*** الواقعية التحليلية (براترند رسل):**

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٤٩

هو إمام الواقعية التحليلية الجديدة التى تقرر أن عالم الأشياء الخارجية موجود بغض النظر عن وجود الذات التى تدركه ويفرق' رسل' بين عملية التفكير وموضوع التفكير فى واقعيته، ووقف من مشكلات الذات والموضوع الطبيعى موقف الناقد الذى يكاد يأخذ بوجهة نظر' الحس المشترك' أو' الادراك النظرى'

يقول' رسل' أننى حينما أنظر إلى أى نجم من النجوم فإنه إحساسي لابد من أن يكون فى آن واحد عضواً فى جماعة الجزيئات التى تكون النجم، والتى ترتبط بالمكان الذى يوجد فيه النجم من جهة، وعضواً فى جماعة الجزيئات التى تكون سيرتى الذاتية، والتى ترتبط بالمكان الذى أنا موجود فيه من جهة أخرى، ومعنى هذا أن كل جزئ من الجزيئات المندرجة تحت نطاق الفيزياء، لابد من أن يكون مرتبطا بمكانين: بمعنى أن إحساسي بالنجم مرتبط بالمكان الذى أنا موجود فيه وبالمكان الذى يوجد فيه النجم، ولا شأن لهذه الثنائية، بأى' عقل' مزعوم يفترض إنني مالك له، لأنها لابد من أن توجد حتى لو وضعنا بدلا منى مجرد' لوحة فوتوغرافية' (١)

هكذا يضرب لنا' رسل' مثال على وجود الأشياء الخارجية سواء وجدت الذات المدركة لها أو لم توجد.'

بيد أن' رسل' حين يتحدث عن' الذهن' أو' العقل' فإنه يكاد يقصر حديثه على الخبرات الحسية أو المدركات الحسية وكأن ليس فى العقل صور، وذكريات، وتخيلات، وانفعالات، وما إلى ذلك من مظاهر النشاط

---

(١) د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة ج١ ص٢٤٤

النفسى... لا يكاد يشير إلى' الوعى' أو إلى' الحالات الشعورية' وكأن فى الإمكان فهم' الذهن' بأسره دون الإشارة إلى أمثال هذه الأنشطة الذهنية، ولكن' رسل' لم يلبث أن عاد..... يبين لنا أن فى الإمكان إرجاع التأملات الباطنية، والتخيلات، والذكريات، والرغبات، والانفعالات وشتى الأحداث النفسية' إلى مجموعة من الصور' المدركات الحسية' مضافا إليها تلك العملية التى تضطلع بها بعض القوانين العلية وإلى جانب هذا، فقد رفض' رسل' فكرة' الوعى' بوصفه قواما ذهنياً مستقلاً، وذهب على العكس من ذلك إلى أن' الذهن' هو مجرد' طاقة' ذات درجة خاصة، نظراً لما تنطوى عليه من' عادات' معقدة' أو مركبة' ذات أعداد كبيرة دون أن يكون فى الإمكان اعتبارها طاقة عقلية مستقلة(١)

يرى' رسل' أن الأشياء مستقلة وهى مدركة عن طريق الحس، وأنكر أن يكون فى العقل مظهر من مظاهر النشاط النفسى ثم لم يلبث أن غير رأيه وأثبت للعقل المدركات النفسية من تأمل وتخيل واسترجاع وانفعالات مضافا إليه بعض قوانين العلية القائمة على البرهان والاستدلال.

ويتحدث' رسل' عن كيفية جمع العلاقات بين الأشياء المختلفة فى الكون الخارجى فيعلن أن المنطق هو' المنقذ الاعظم' لأن الفلسفة تتطلب البرهان المنطقى وليست تأليفا تمليه المنافع الإنسانية، فيقول:

' والمنطق يدرس جميع العلاقات الممكنة، وهذه العلاقات تأليفات حرة تحسم بينها التجربة فيؤخذ بالعلاقات المطابقة للتجربة ويغفل ما عداها. والعالم الخارجى

---

(١) المصدر السابق جـ١ ص٢٤٥

متكثر، وأصوله أو مبادئه ذرات هى أحداث، والمركبات تتألف من هذه الاصول، ولكن للمركب خواصه وفعله فلا يمكن تصوره كأنه مجرد مجموع(١)

فعلى ذلك تكون واقعية' رسل' واقعية تحليلية لا تكتفى بالتجربة وإنما تجمع بين العلاقات المطابقة للتجربة وعن طريق التحليل المنطقى تستطيع أن تصل إلى المعرفة المنشودة.

يرى' رسل' وجود علاقتين بين العقل والأشياء الخارجية:

الأولى: علاقة مباشرة وهى المعرفة المباشرة

والثانية: علاقة غير مباشرة وهى المعرفة غير المباشرة أو المعرفة بالوصف.

*** المعرفة المباشرة:-**

يعرفها بأنها المعرفة بشىء ما حينما ندركه إدراكا مباشرا أو نكون على وعى به بدون وساطة أية عملية استنتاجية - استدلالية -أو أية معرفة بالحقائق، أى تتناول المعرفة المباشرة ما نعرفه عن طريق الإحساس بالأشياء الخارجية، وما نعرفه بالتأمل الباطنى من أفكار ووجدانيات ورغبات، وما نعرفه عن طريق الذاكرة سواء كان عن طريق الإحساس بالأشياء الخارجية، أو عن طريق التأمل الباطنى، كما أننا على معرفة مباشرة بذواتنا باعتبارها عارفة للاشياء، وكذلك بالكليات أى بالأفكار العامة كالبياض والاخوة والاختلاف.

---

(١) يوسف كرم، تاريخ الفلسفه الحديثة، ص٤٣١

*** المعرفة بالوصف:-**

فهى التى تأتى عن طريق الاستنتاج من أمور نكون على معرفة مباشرة بها، وأهمية هذه المعرفة أنها تساعدنا على معرفة الأشياء التى لا ندركها بالتجربة(١)

وفى النهاية نقول أن:' رسل' قام مذهبه على الواقعية التحليلية التى جعلت المنطق عبارة عن دراسة صورية وهى عبارة عن بحث تحليلى فى الهيكل العام للتفكير ومهما كان من أهمية التحليل فإن من المؤكد أنه مجرد استمرار لعملية البحث العلمى.

وبذلك تقوم العلاقة بين المهمة التحليلية القائمة على توضيح الأفكار والمهمة التركيبية القائمة على اكتشاف الوقائع وشرحها، ولكن' رسل' حاول فصل تلك الثنائية ولكنه لم ينجح فى ذلك.

وأخيرا، لابد لنا من أن نشير إلى نظرية' رسل' فى' الواحدية الحيادية' وكيف تعرضت للنقد العنيف من جانب الكثير من الباحثين، وعلى رأسهم الأستاذ' ستادت' ، والواقع أن الكائنات المحايدة التى يتحدث عنها رسل ليست سوى مظاهر يمكن أن تدخل فى تكوين كل من العقل والمادة وأما الصور الذهنية – على العكس من ذلك – فهى ظواهر عقلية صرفة، فى حين أن' المظاهر' التى تظل غير مدركة عقلياً إنما هى ظواهر جسمية صرفة وإذا كان ذلك كذلك فإن' رسل' لم ينجح فى تحطيم الثنائية كما أنه لم يستطيع القضاء على هذا التمييز الأساسي بين العالم الذهنى والعالم المادى(٢)

---

(١) د. راجح عبد الحميد الكردى: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص٣٠٥

(٢) د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة جـ١ ص٢٥١

خاتمة البحث

أن الاختلاف حول طبيعة الإنسان وعلاقته بالموجود حوله من المحسوسات جعلت هناك اختلاف فى طبيعة المعرفة إذ ترى المثالية أن الطبيعة البشرية أعلى من الموجودات التى فى الكون، والذهن الإنساني والذات الإنسانية الداخلية هى أساس النظرة المثالية وهى وحدها التى تستطيع أن ترى الحقيقة اليقينية الكاملة، لذلك فإن الكون يرجع فى وجوده للإنسان لمعرفته، ومعرفة الإنسان له هى أساس وجوده ومعقوليته.

ولكن هناك على الجانب الآخر ترى الواقعية أن الطبيعة البشرية جزء من الطبيعة الشاملة ويكون الإنسان محكوم بالقوانين الكونية للعالم لأنه جزء منه ولكن الله عز وجل منح الإنسان العقل يستطيع به أن ينظم وينسق القوانين الطبيعية فى بناء جميل يحفظ بقاء الإنسان ولكن الوجود الواقعى اسبق فى الوجود من هذا الذهن الذى يمتلكه الإنسان.

ومن خلال ما كتبته فى ذلك البحث، وقفت على النتائج التالية:

١- معيار المعرفة فى الفلسفة المثالية ترجع إلى الذات العارفة إذ تحيل الوجود الخارجى إلى أفكار كلية ولا تكون الحقيقة الخارجية صحيحة إلا إذا تطابقت مع أفكار الذهن الرئيسية.

هذا المعيار لا يعد صحيحاً تماماً لأنه قد تتفق صورة القياس وتصح النتيجة وتصدق فكرياً من حيث التطابق الذهنى ولكنها لا تكو صادقة

ولا صحيحة من حيث الواقع إذ لم نبدأ فى القياس من مقدمات صادقة بحسب التطابق الواقعى.

٢- تقوم المثالية بتفسير عملية المعرفة على أساس أن الإنسان مزود فطرياً بمجموعة من المبادئ والمعارف الأولية وهذه المعارف الفطرية لا تكون راجعة إلى العالم الخارجى، وإنما وجودها فطرى فى النفس الإنسانية ويقوم العالم الحسى الخارجى بدور التذكر لهذه النفس حتى تستعيد معلوماتها الفطرية، فالعالم الخارجى يساعد على استرجاع المعلومات الفطرية.

ولكن هذه الأفكار الفطرية اتخذت على يد' كانط' طابعاً نقدياً، إذ أصبحت لا تدل عنده - كما كان الحال عن' ديكارت' على طبائع بسيطة أو حقائق فطرية ثابتة بل تدل على المبادئ الأولية أو الصور التى يضعها العقل ليشكل بها التجربة، ومن أهم هذه الصور صورتا المكان والزمان.

٣- ولكن المدرسة الواقعية أنكرت فطرية الأفكار أو المبادئ الأولية بمعنى أنها ثابتة ومخلوقة مع الإنسان، وإنما قالت أن الحس أو التجربة هو المصدر الرئيسى لهذه الأفكار، فالإنسان يولد وصفحته بيضاء خالية من كل معرفة ثم يكتسب المعارف من الواقع عن طريق احساساته على ذهنه، فالأشياء الخارجية تنطبع صورها فى الذهن كما تنطبع صورة الختم على قطعة الشمع.

٤- الإدراك الحسى وحده هو المقياس الذى تقيس به الواقعية الحقائق النظرية، وأرجعت الخطأ إلى الحكم العقلى، أى إلى الصورة الذهنية إذ لا يحق للإنسان أن يقطع بقوله فى أية صورة ذهنية، لأنه لا يعلم أن كان لها فى الخارج أصل يطابقها أولا:

٥- الواقعية أساءت إلى العلاقة بين الذات العارفة والشئ الخارجى المعروف ذلك أنها جعلت الذات العارفة انعكاسا للشئ المعروف فى الخارج، كما أنها أساءت إلى المعرفة نفسها لأنها جعلتها مقتصرة على الشئ الخارجى الواقعى، كما أنها جعلتها من جنس الواقع لا من جنس الفكر، لأن مجرد التسليم بواقعية الأشياء واستقلالها لا يفيد شيئا من الوجهة المعرفية فى أداء الإنسان لدوره فى الحياة مالم تكن معروفة لهذا الإنسان، وما لم تكن له استعدادات لمعرفة، ودور فيها.

٦- المعرفة الواقعية للأشياء ذات طابع مادى لأنها تجعل معرفة الأشياء مطابقة للأشياء الخارجية المادية المحسوسة ومعنى ذلك لا تسلم بوجود عالم الغيب، والوجود الذهنى لأشياء هى ذهنية فحسب وليس لها حقائق مادية ملموسة، وكذلك الوجود الأعظم هو وجود الله عز وجل وهو ليس له وجود مادى ملموس أى توجد حقائق كونية وليس لها وجود مادى فالمعرفة الواقعية معرفة قاصرة.

٧- أخطأت المثالية إذ جعلت العقل المصدر الوحيد للمعرفة كذلك الواقعية فى جعلها الحس وحده مصدراً لهذه الأفكار.

فالعقل له مجاله والحس أيضاً لـه مجالـه وبينهمـا انسجام وتوافق فـلا يصح إنفراد أحدهما عن الآخر. وإنما مـن الضـرورى أن يكمـل أحدهمـا الآخر، فبينهما تأثير وتأثر.

وفى نهاية البحث نرجو من الله العلى القدير أن نكون قـد وفقنـا فيمـا عرضناه بقدر الطاقة البشرية، وأن يحفظ علينا إيماننا ويستر عوراتنا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

دكتورة / لوتس على محمد على
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة
فى كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنات بسوهاج

المصادر والمراجع التى اعتمد عليها البحث

١- أحمد فؤاد الاهوانى، أفلاطون، دار المعارف ١٩٦٥م.

٢- أحمد أمين، زكى نجيب محمود، قصة الفلسفة اليونانية، الطبعة السابعة ١٩٧٠م لجنة التأليف بالقاهرة.

٣- د. إمام عبد الفتاح إمام، فلسفة هيجل، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٥م

٤- برتراندرسل، مشاكل الفلسفة، ترجمة عبد العزيز البسام.

٥- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٥م.

٦- د. جميل صليبا، المعجم الفلسفى، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٩٧١م.

٧- جوزيف بوخينسكى، مدخل إلى الفكر الفلسفى ترجمة د. محمود حمدى زقزوق، الطبعة الأولى، مكتبة الانجلو، القاهرة ١٩٧٣م.

٨- جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة د. توفيق الطويل، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م.

٩- د. راجح عبد الحميد الكردى، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، مكتبة المؤيد، السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

١٠-د. زكريا إبراهيم، دراسات فى الفلسفة المعاصرة، الطبعة الأولى، مكتبة مصر، القاهرة ١٩٦٨م.

١١-الزمخشري، أساس البلاغة، طبعة دار الشعب، القاهرة ١٩٦٠م.

١٢-د. زكى نجيب محمود، نظرية المعرفة، مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٦٩م.

١٣-شارل فرنر، الفلسفة اليونانية، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الانوار بيروت ١٩٦٨م.

١٤-د. عثمان أمين، رواد المثالية فى الفلسفة الغربية، دار الثقافة القاهرة ١٩٧٥م.

١٥-د. عدنان زرزور، مقالة فى المعرفة، دار الفتح، دمشق.

١٦-د. عزمى إسلام، جون لوك، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٦م.

١٧-د. فؤاد زكريا، نظرية المعرفة، مكتبة النهضة، القاهرة

١٨-فيشته، غاية الإنسان، ترجمة د. فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، الانجلو، القاهرة ١٩٦٣م.

١٩-الفيروز بادى مجد الدين، القاموس المحيط، الطبعة الثالثة المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٩٦ هـ - ١٩٣٣م.

٢٠-د. محمود حمدى زقزوق، دراسات فى الفلسفة الحديثة الطبعة الأولى ١٩٨٥م، دار الطباعة المحمدية.

٢١-د. محمود حمدى زقزوق، تمهيد للفلسفة، الطبعة الثالثة، مكتبة الانجلو ١٩٨٦م.

٢٢-د. محمد على أبـو ريـان، الفلسـفة ومباحثهـا، دار الجامعـات المصريـة ١٩٧٤م.

٢٣-د. نظمى لوقا، الحقيقة

٢٤-هتتربيد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ترجمة د. فؤاد زكريا، دار نهضـة مصر ١٩٧٥م.

٢٥-كولبه، المدخل إلى الفلسفة، ترجمة د. أبو العلا عفيفى، لجنـة التـأليف والترجمة ١٩٤٢م.

٢٦-د. يعقوب فام، البراجماتزم، القاهرة ١٩٣٦م.

٢٧-يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية دار القلم، بيروت.

٢٨-يوسف كرم، تـاريخ الفلسـفة الحديثـة، دار المعـارف، الطبعـة الخامسـة ١٩٨٦م.

تم بحمد الله

(الجزء الأول)

رقم الإيداع بدار الكتب ٦٢٣١ / مارس ٢٠٠٠م

مع تحيات

المطبعة العربية الحديثة

٤ ش عبد الفتاح سلام سوهاج

مع تحيات
المطبعة العربية الحديثة
٤ ش عبد الفتاح سلام سوهاج